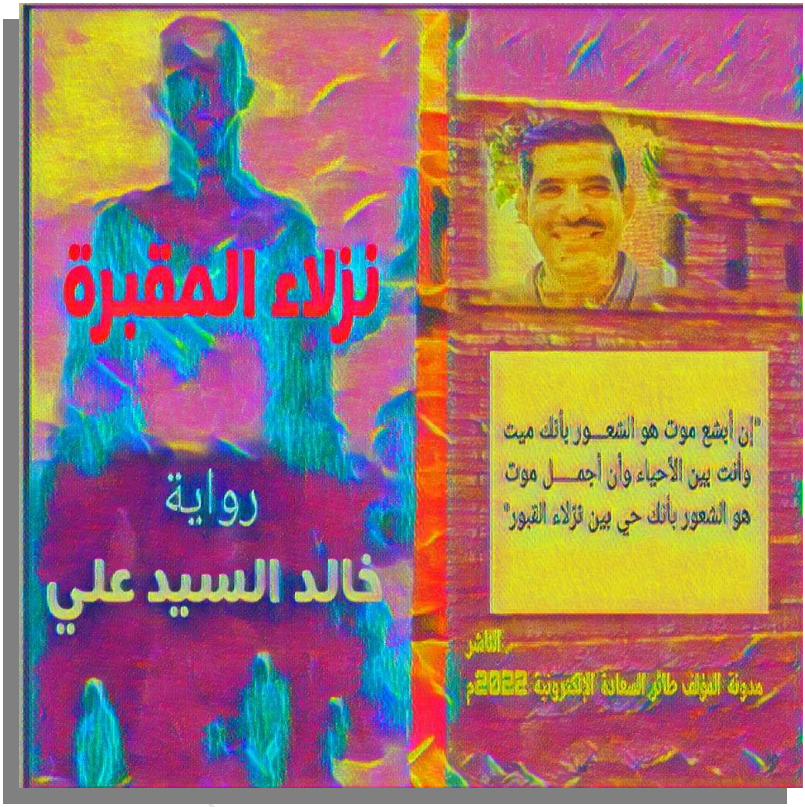

الجزء الأول

(فصول مجتزأة من الرواية)

نزلاء المقبرة

روايــة

خالد السيد علي

مدونة المؤلف طائر السعادة الإلكترونية

مدونة طائر السعادة الإلكترونية

حقوق النشر والطبع الورقي والإلكتروني محفوظة للمؤلف

٢٠٢٢م

إهـــداء عام:

إلى كل نزلاء القبور..

إلى كل نزلاء الحياة..

و إلى كل من يعشق تراب وطنه..

إهداء خاص:

إلى.. أمي الحبيبة نهر العطاء..

و إلى.. زوجتي توأم روحي..

و إلى ابني عبد الرحمن قرة عيني ..

و إلى ابنتي رؤية زهرة دنيتي..

وإلى أرواح كل من فقدناهم في دروب الحياة، وكانوا شهداء المعاناة والتضحية.

المؤلف

"الخوف لا يمنع الموت، ولكنه يمنع الحياة"
(نجيب محفوظ)

"كُن مختلفًا ولو صرت وحيدًا"
(دوستويفسكي)

"كلنا نائمون وإن لم نستيقظ ونزرع السعادة لن نجد الحياة"
(خالد السيد علي)

مدونة المؤلف طائر السعادة الإلكترونية

"..... لقد كنا في الدنيا نموت أكثر من مرة، وتستمر بنا الحياة"
(النزيل٢٠١٣)

==========

"هذا النزيل.. المدعو ٢٠١٣ لن اسمح له بالبقاء هنا داخل المقبرة إلا بعد أن يجيء لنا بوثيقته كشهيد."
(النزيل٢٠١٢)

==========

"نحن الذين نكتب النهايات يا عزيزي؛ فالخطط تنكشف، والحصون تنهار، ولكننا مستمرون"
(إرهابي)

=========

"قالت أمي يوم العزاء وهي تزف النعش بالبكاء دون نواح.. احتسبه شهيدًا عندك يارب..
(النزيل ١٩١٩)

==========

"ان أبشع موت هو الشعور بأنك ميت وأنت بين الأحياء وان أجمل موت هو الشعور بأنك حي بين نزلاء القبور
(النزيل٢٠١٦)

==========

" مشروع مبدع قُصف قلمه كثيرًا، ولكنه كان يكتب بأي وسائل ابتغاء مرضاة الله"
(النزيل ٢٠١٧)

لم أعد أشعر بالأمان، لم أعد أطيق أفعال البشر
(الأرض)

========

ومن منا لا يحلم بالسلام أيتها الأرض، والسلام لا يبدأ إلا بتصالح النفس مع الذات داخل الإنسان..
(التاريخ)

========

"استغفر الله العظيم.. يا أخي . تذكر أنك في المقبرة . كيف تتحدث عن التمارين الزوجية"
(النزيل ١٩٥٦)

==========

"أنا لا ليا في السياسة ولا في البتنجان.. ليه يعملوا فيا كده؟
(مواطن)

========

"...فأنت من الوجوه التي لا تغيب عني دنيا وأخره لأنك تشبه "المولوتوف"بل أنت المولوتوف..
(النزيل ٢٠١٣)

==========

"الدنيا دي مقلب كبير قوي، وناس كتير اتخمت فيها وشربته"
(عواد)

======

(مقتطفات من الرواية)

شخصيات الرواية

١) النزيل ٢٠١٣.. شهيد.
٢) النزيل ٢٠١٢.. إرهابي.
٣) النزيل ١٩١٩.. شهيد.
٤) النزيل ١٩٥٦.. شهيد.
٥) النزيل ٢٠١٥.. إرهابي.
٦) النزيل ٢٠١٦.. عالم مصري.
٧) النزيل ٢٠١٧.. أديب.
٨) عواد التربي.. كبير خفراء المدافن.
٩) زوجة عواد.. سيدة مثالية.
١٠) التربي الصغير..أصغر تربي في المدافن.
١١) مجموعة نزلاء آخرون..
١٢) مجموعة شخصيات أخرى..
١٣) مجموعة أصوات كونية ..

مدونة المؤلف لعالم الأدب الإلكترونية

١- النزيل ٢٠١٣

النزيل ٢٠١٢، قنبلة"مولوتوف"متخفية في ثوب شهيد.. لم يدرك النزلاء القدامى في المقبرة أنها قنبلة حتى نزلتُ إليهم نزيلًا، فأنا النزيل ٢٠١٣ إلى يوم الفصل.

*****

مقابر قديمة جدًا..

يبلغ ارتفاع سورها -حديث العهد- حوالي ثلاثة أمتار غير ما دفن من السور بعوامل ارتفاع سطح الأرض، إنها بعيدة عن العمار، ولكنها ليست بعيدة عن الأنفس، فهي تفتح ذراعيها طوال الوقت لاستقبال النزلاء الجدد، والزائرين لها نهارًا وليلًا.. !

يافطة رخامية مستطيلة تعلو البوابة الحديدية العتيقة بطرازها القديم المحفور عليها بالحروف الكوفية مدافن عواد، وأسفلها مكتوب ببنط صغير الفسطاط سابقًا، واسم آخر مطموس.. من حين لآخر ينظف عواد اليافطة بالزحافة بكل

فخر واعتزاز، ومن يكون عواد الذي سميت المدافن باسمه إنه كبير خفراء منطقة المدافن.

كنت أخشى زيارة القبور وأنا حيًا، لا أعرف سببًا لذلك بل وكنت أتعجب! كيف يعيش بين المدافن أناس ويمارسون حياتهم الطبيعية بكل طقوسها .. ربما ترجع الرهبة التي انتابتني نحو زيارة القبور للصورة المروعة التي كان ينقلها لنا صناع الشريط السينمائي حيث نزلاء القبور الذين ماتوا نتيجة حادث أليم أو قتل، يخرجون ليلًا ويتعاملون مع الأحياء بمنتهى الشر، ولكن ما كان يشغلني هو كيف يتعامل معهم عم عواد التربي الذي يقيم في غرفة ضيقة هو وزوجته خاصة وهما يصنعان جوا من البهجة كل ليلة كأنهما عروسين في ليلة الزفاف يحفهما الحب ويحيطهما سكون الرومانسية، فقد غلب عليهما طابع الحضر، ولكن بداخلهما رحيق الريف..

عواد التربي، رجل دون الخمسين أمضى عمره بين الأحياء والنزلاء.. انه رجل طويل القامة.. قوي البنيان.. اسمر اللون.. ذو شفاه غليظة، وعيناه واسعتان.. فؤاده أبيض، ومن النوع الفولاذي، أسنانه كضي القمر تلاحظها دائمًا لأنه يفتح أشداقه

بابتسامة طولية لا عرضية كسائر البشر أجمل ما يميز هذا الرجل أنه ساخر أحيانًا، وخفيف الظل حتى في أدائه الملتزم خاصةً عندما يفتح قلبه على مصراعيه لنزلاء المقابر-الموتى- ويستمع لهم كما يفتحون هم له قلوبهم ويتحاورون معه في أحوال الموتى والأحياء..

يجلسون فرادى، وجماعات مع عم عواد، وكأنهم في منتدى أو مؤتمر عالمي لم ولن يفكر أي نزيل في أذي عم عواد-خاصة ممن ماتوا قتلى-لأنه محصن بالإيمان؛ فهو لم يترك فرضًا إلا وأداه بل ولأنه مشهورًا بينهم بأنه شيد جسرًا بينه وبين الرحمن.. معظم خفراء المقابر المجاورة يطلقون عليه الحارس الأمين بينما نجد قلة منهم يطلقون عليه خفير الغبرة لأنه يقف لهم بالمرصاد ما أن يحاولون العبث بالقبور لأغراض دنيئة الغريب في أمر المقابر أنني اكتشفت ما أن دلفت جوفها أنها تخلو من الجنس الناعم ولا أعرف سر لهذا الأمر، ولم أفكر فيه كثيرًا لأن هناك الأهم في خاطري..

كنت في عنفوان السعادة لأنني نلت الشهادة وأصبحت في سجلات البشر شهيدًا وعند ربي حيًا أرزق.. استنادا لقوله

سبحانه وتعالى"وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ " صدق الله العظيم.

لم يعكر صفو ليلة دخولي المقبرة-كنزيل-في الليلة الأولى سوى السواد الحالك الذي لطخ مناحي حياة من فارقتهم من أحبائي، ولكنني قلت لهم مبتسمًا كأنهم يسمعونني نحن السابقون وأنتم اللاحقون .. فنحن البشر لا نعلم من سيولد ومن سيموت بيننا.. فهو سيناريو إلهي لا دخل لنا في أحداثه، ولكن كل ما هو علينا نلهو ونلعب ونستقبل المولود بالزغاريد، ودق الهون.. تبدأ تقاليد الاحتفال بالسبوع من خلال شراء ما يسمى "بـالبياته"، وهي عبارة عن"إبريق" للمولود إذا كان ولدًا، و"قُلة"مزينة بالزهور إذا كانت بنتًا بالإضافة إلى ما توزعه الأسرة على الضيوف من مكسرات وحلوى و سوداني وفيشار.. .إلخ

"حلقاتك برجالاتك.. حلقة دهب في وداناتك.. "

كلمات أصبحت من صميم الفولكلور الشعبي، يرددها المصريون في الاحتفال بسبوع المولود، الذي يعتبر من أبرز العادات والتقاليد المصرية العابرة للأزمنة منذ قدماء المصريين؛ إذ لم تتغير مظاهر الاحتفال به على مر العصور.. .ولكن ما

كان يسعدني وأضحك عليه هو ما كنت أسمعه يوم السّبوع من التلقين المتوارث للرضيع :

"اسمع كلام أبوك وما تسمعش كلام أمك.. اسمع كلام ستك أم أبوك وما تسمعش كلام ستك أم أمك.. "

تشد إحدى السيدات يد الهون من يد السيدة الأخرى قائلة :

"ما تسمعش كلام أبوك ولا ستك أم أبوك .. واسمع كلام أمك وستك أم أمك.. "

تعلو الضحكات والقفشات وهم يستكملون طقوس السّبوع وأنا انفجر في الضحك ليس على ما يفعلونه بل لأنني أعتقد أن المولود لن يسمع لكلام أحد وسيحكم عقله في أحوال حياته طبقًا لرؤيته للواقع ولن يسير على نهج أحد وربما يفعل مثلي ويشجب توارث الخنوع للواقع المرير والعيش على هامش الحياة وتأجيل الأحلام الشخصية والعامة إلى ما لا نهاية في ظل الأنظمة التي تدير البلد.. فلولا إيماني أنا ومن يؤيدونني في الرأي في أنه نحن لا نعمل لدى الحاكم بل هو الذي يعمل لدينا ما جئت شهيدًا إلى المقبرة واستقبلني عم عواد التربي ببشاشة لم يلمحها رهطي؛ ممن ساقوني للمقابر..

لن أخفي عليكم حالتي الشغوفة وأنا اهبط إلى من سبقوني إلى مقبرتي؛ فعلى حد علمي هم شهداء، والعلم عند الله وحده.. المهم، وأنا في حضن المقبرة، وشعوري بضمتها، كان يلهث فكري لمعرفة تلك العالم-عالم القبور-الذي سمعنا عنه .!

*****

وما أن أغلق عم عواد التربي المقبرة مرت عليّ لحظات كالبرق لا أتذكر منها شيئًا سوى الشعور بالارتياح، وضمة القبر..

راح النزيل ١٩١٩ البشوش يفتح ذراعيه ويأخذني إلى أحضانه والسعادة تطوق جوانبه قائلًا ليّ :

"مرحبًا بالنزيل ٢٠١٣.. قبل أن تعرفنا بنفسك أحب أن أعرفك بنفسي أولًا، وبنزلاء المقبرة بصفتي أقدمهم هنا، وأكبرهم، وربما أعقلهم.. "

أنهى جملته وسلم نفسه للضحكات ولم يستطع التخلص منها فانتهزت الفرصة وأطلقت عينّي .. فرأيت نزيلين آخرين.. أحدهما شاردًا متأملًا وعيناه تدمعان، والآخر كلما حاولت أن انظر إلى وجهه يستدير ويخفي نفسه رغم أنني لمحته يتطلع فيّ

خلسة من حين لآخر.. امتلكني الفضول، وحاولت أن أراه ولكنني فشلت.. فتوجهت للنزيل ١٩١٩، وقد أوشكت ضحكاته على النفاد وكأنها تبتعد وئيدًا نحو الزمن السحيق أو تغرق في جوف الأرض، وقبل أن أنبس بكلمة استطرد قائلًا أنا النزيل ١٩١٩ ثم راح يشير إلى الرجل الشارد :

"ويسعدني أن أقدم لك النزيل ١٩٥٦ إنه من خيرة الرجال."

مسح النزيل ١٩٥٦ عبراته ونبرة هادئة قال ليّ وهو يصافحني بحرارة ووقار :

"أهلا بك في عالم الأموات."

ثم عاد إلى ركنه و صمت وشرد كأنه يفكر في أمر خطير، وواصل النزيل ١٩١٩ كلامه وهو يشير إلى النزيل ٢٠١٢ قائلًا :

"وهذا هو النزيل ٢٠١٢ شهيدًا"

فسألته هامسًا ولماذا لا يرحب بي أو يصافحني أو حتى يتطلع إليّ؟ رد عليّ مندهشًا :

"لا أعرف ماذا أصابه.. إنه دائم الفخر بنفسه وبنضاله الوطني.!"

مال عليّ وهمس باسمًا وأردف :

"رغم أننا شهداء مثله.. أو إذ ربما يحتسبنا المولى عز وجل شهداء عنده."

حدقت فيه مليا وأنا متعجبًا وقبل أن استفسر هاجمني بقوله :

"لا تتعجب أيها النزيل ولا تشغل بالك بالأسئلة التي تلاحقك وتتكدس في ذهنك.. دعها لحين تصفح سجلات بعضنا البعض.. "

انتهى من كلامه وهمّ ليخرج من المقبرة فسألته :

" إلى أين ؟"

أجابني والضحكة تسبقه ويمط في أحرف رده :

"إلى .. مجلس عم عواد التربي.. "

اندهشت برهة ثم طبقت مقولته عندما قال ليّ لا تشغل بالك بالأسئلة؛ وأجلست نفسي في صمت وكأنني انتظر شيئًا؛ وإذ بالنزيل ١٩٥٦ يخرج هو الآخر من المقبرة وقبل أن أسأله إلى أين قال بنبرة وهنه.. سأذهب لمجلس عم عواد التربي..

لم يبق سوى النزيل ٢٠١٢ بالمقبرة.. فدار في مخيلتي أيقوم هو الآخر لمجلس عم عواد.. فجأة قطع استرسال مخيلتي

و راح يتقلب في مكانه ثم من ركن لآخر يتَخَفىَّ وهو يجلس القرفصاء برهة ثم فاجأني مرة أخرى بصوت مفزع ينم عن الغضب وهو يقف وكأنه يستعرض قوته وهيبته كما لو كان لاعب ملاكمة بعد أن سقط أرضًا قرر استكمال الجولة رغم أنه نال الضربة القاضية..

التفت إليّ وهو يقول بحده :

"كنت أُكذب بصري وأشك أنك أنت بالفعل، والآن أيقنت أنك أنت بالفعل.. فأنت من الوجوه التي لا تطمس.. وجوه كافره"

تلعثم لساني وأنا في حالة من الغليان كنت أود أن أمزقه إربًا إربًا، ولكني كظمت غيظي.. هم أن يشتبك معي بالكلمات المقذذة ثم بقبضته؛ فأوقفته توًا قائلًا وأنا أمسك يده بقبضة حديدية :

-لسنا في الدنيا أيها الغريم.. لسنا في الدنيا، فأنت من الوجوه التي لا تغيب عني دنيا وأخره لأنك تشبه "المولوتوف"بل أنت المولوتوف الذي أحرقتني.!

شردت هنيهة، عادة لقاء الإنسان بالإنسان للحظات عابره في حدث ما ليس له أي أهمية ثم يفترقان لا يتذكره أحدهما بل

وربما يسقط من ذاكرته، ولكن ما حدث ليّ في أول لقاء مع النزيل ٢٠١٢ في الحياة الدنيا في مطلع ديسمبر عام ٢٠١٢ ميلاديًا لم ولن أنساه لأنه كان لقاء دموي حفر في ذاكرتي.. ويا للسخرية يتذكرني هذا الهمجي رغم كثرة المظلومين الذين وقعوا تحت مقصلة ظلمه.

*****

مدونة المؤلف طائر السعادة الإلكترونية

٢- إمبراطور المقابر

قطن قلبي الهدوء الحذر؛ وأنا أخرج من المقبرة مقطبا.. سحبتني قدماي إلى غرفة عم عواد التربي فربما هناك انعقاد المجلس الذي سمعت عنه من النزيلين ١٩١٩ و١٩٥٦، ولكن هيهات ! كانت الغرفة موصدة.. طرقت الباب برفق فربما بالداخل المجلس.. لم يفتح لي أحد، وضعت أذناي على النافذة الخشبية الشاحبة فلم أسمع شيئًا.. قلت بنبرة هادئة : عم عواد.. عم عواد.. فجأة تسمرت مكاني ولم أنطق بكلمة ما أن هبطت يدًا على كتفي كأنها مطرقة حديدية لم تؤلمني بقدر ما أرهبتني، وفي لمح البصر دار في مخيلتي أنها أرواح شريرة، ورغم ذلك التفت بحركة دائرية وأنا أقول في سري أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. نحن لا نهرب من أقدارنا..

ملكني الفزع وتراجعت للخلف كالسيارة عندما تعود للخلف بسرعة جنونية لا تعبأ أحدًا، ما أن رأيت رجلًا كأنه شبحًا يسيل من رأسه شلالات من الدماء فتخفي ملامح وجهه، وبيده نبوتًا

طافحًا بالمسامير المدببة.. هرب صوتي نهائيًا وكأنني أصبحت أبكم.. حدق فيّ الرجل بشدة وهو يقول ليّ كأنه يعرفني :

" أنت النزيل ٢٠١٣ مش كده"

لم استطع الرد.. دنا من باب غرفة عم عواد وراح يصفع الباب بطرقات إيقاعية كأنها مقطوعة موسيقية؛ ففتح الباب على الفور كأنه قال للباب بتلك الطرقات افتح يا سمسم.. ففتح، وقبل أن يدلف الغرفة قذفني بكلمات حادة خيل إليّ أنها تهديدًا :

"ما تروحش كده واللا كده أنا راجعلك حالًا"

وكأن الأرض تعاونت مع هذا الرجل وراحت تسلسل قدماي لم استطع التحرك كي أبحث عن عم عواد وأخبره أن شبحًا شريرًا دلف لغرفته.. رميت ببصري بعيدًا وقد رأيت النزيلين ١٩٥٦ ، ١٩١٩ قادمان يتبختران نحوي؛ وهما في حالة انشراح فوجداني فقال ليّ ١٩١٩ :

"أمن أول ليلة تخرج من المقبرة ؟"

ثم قال ١٩٥٦ بنبرة روحانية :

"ربما أراد رؤية عالم المقابر وحده."

بلعت ريقي ونطقت بصعوبة وقلت لهما :

-هناك شبح غارق في دمائه دلف غرفة عم عواد وبيده نبوتًا..
نظر كلا منهما للآخر وتبادلا الابتسامة ثم قالا معا :
"إنه عم عواد ذاته."
و لم ينتهِ الليل بعد..

جلس عواد مستسلمًا متعبًا، وراحت زوجته كعادتها تمرضه عقب كل عركة مع مافيا المقابر.. فمع كل نزيل يزف في الثوب الأبيض إلى المقابر نجد رياح مافيا الأعضاء البشرية التي تشم رائحة الجثث الطازجة تهب وتتسلل من أجل أغراضها؛ ولكنهم دائمًا يفشلون؛ فعواد واقفًا لهم بالمرصاد، ودائم الانتصار.. لا لبسالته وقوته بل لأنه على صلة برب العالمين.

وضعت له العشاء وتناولا معا ثم أعطته كوبا من اللبن الدافئ المخلوط بعسل ملكات النحل كي يعوض ما فقده من دماء، ورغم انه لا يحب اللبن إلا انه مع قبلة ساخنة على خده الصقيع، مع كلمات معسولة رشف الكوب الرشفة تلاحقها الأخرى..

صارت تتأمله بشغف وفي عينيها لمعان العشق وضوء الانبهار.. فعواد بالنسبة لها ليس زوجًا فحسب بل إمبراطور المقابر.. فصيته بين خفراء الجبانات في الأفق .. قوة إيمانية لا يستهان بها، وكثيرًا ما يحذر الخفراء مافيا الأعضاء البشرية وصغار التجار الاقتراب من مقابر عواد إلا أنهم يقتربون ويحاولون سرقت الجثث بعد أن فشلوا في إبرام عقود شفوية معه مثل غيره.

هَمّ ليخرج من غرفته وهو يرمق زوجته ويملس على شعرها المسدول ثم يربت على كتفها قائلًا :

"ساعة بالكتير وراجعلك يا عروسه.. أوعي يغلبك النوم."

وضعت يديها على خصرها ورفعت حاجبيها وفرقعت ضحكة عابره وهي قائلة وكأنها فهمت مغزى كلامه :

"هو الجبل ما تعبش من عركة الليلة دي؟"

رد بثقة :

"يا جبل ما يهزك ريح."

تركتهما، ودنوت من النزيلين ١٩١٩ ، ١٩٥٦ ودهشت أنني وجدت بينهما النزيل ٢٠١٢ .. أمسكت خطواتي وانتظرت

حتى يغادرهما؛ فأنا لا أريد النظر إلى وجهه لأنه يوقظ بداخلي الغضب.. لم يطول انتظاري فسرعان ما غادرهما مستديرا نحو المقبرة، وبينما أنا أتحرك في اتجاه النزيلين١٩٥٦,١٩١٩ وجدت عم عواد يسير بجواري متوازيًا معي.. لم اسمع خطوات قدومه خلفي، و لم اشعر به نهائيًا كأنه ظهر فجأة.. إنه رجل غريب.. أظن أحيانا أن بداخله سرًا لم ولن يبوح به لأحد، وأجزم أحيانًا بأنه رجل بلا أسرار.

*****

٣- الوثيقة الرسمية

"الوثيقة الرسمية تقول أنني من الشهداء، ولذلك لن أقبل النزيل ٢٠١٣ معي في المقبرة جنبًا إلى جنب" هذا ما جاء على لسان النزيل ٢٠١٢ و أخبرني به النزيل ١٩١٩ و زاد عليه النزيل ١٩٥٦ قائلًا : نحن نعلم جيدًا أن النزيل ٢٠١٢ نزيل شهيد ومعه ما يثبت شهادته، تلك الوثيقة التي أصدرتها الدولة لورثته والتي أقرت فيها بأن المواطن ٢٠١٢ مات شهيدًا في نهاية ديسمبر عام ٢٠١٢ ميلاديًا .. أما أنت-وبالطبع يقصدني- فلا توجد لدينا أي وثيقة رسمية تفيد بأنك شهيد، وقد أكد لنا ذلك عم عواد.

راحت عيناي المندهشتان الحائرتان تقطعان المسافة التي لا تتعدى بعض المليمترات يمينًا ويسارًا.. ذهابًا وإيابًا بين النزيلين ١٩١٩,١٩٥٦ مندهشتان حائرتان.. ماذا أقول لهما؟ إنها لكارثة..

شق صمتي عم عواد وهو يقول :

"من الأخر النزيل ٢٠١٢ عايز إيه؟"

رد النزيل ١٩١٩ :

"مغادرة النزيل ٢٠١٣ المقبرة بلا عودة، بل وينقله عم عواد التربي لمقبرة أخرى."

لم يتمالك عم عواد نفسه من الضحك وظل يكركر ونحن ننظر إليه وعلى وجوهنا علامات الاستفهام: لماذا يضحك عم عواد هكذا؟

فجأة فرمل عم عواد الكركرة ، ودب بقدميه على الأرض بشدة قائلًا :

"عواد ولد عواد ما يأخدش أوامر من نزيل ميت.. وأي نزيل في منطقتي بينزل المقبرة بينزل بتصريح وعشان يخرج منها ويروح مقبرة تانية لازم تصريح نقل.. هي سايبة واللا سايبة.. نزلاء أخر زمن ! "

وعاد ليستكمل وصلة الكركرة كأنه يضحك على نكته ليس لها مثيل كلما سمعها أو تذكرها كلما عاود الكركرة..

فتح النزيل ١٩٥٦ صدره ليّ وأعطاني الأمل قائلًا :

"قل لنا ما تريد على أن تقسم لنا بالله أنك ستقول الحق."

لضم النزيل ١٩١٩ كلامه مع كلام النزيل ١٩٥٦ قائلًا :

"وأن تخبرنا بالحقيقة المؤكدة لماذا يريد النزيل ٢٠١٢ أن تغادر المقبرة.. فأنا شهيد والنزيل ١٩٥٦ شهيد، ورغم أننا لا نملك وثيقة الشهداء إلا أن النزيل ٢٠١٢ لم يطلب منا أن ترك المقبرة؛ لأن ذلك ليس من حقه.. يا عزيزي نحن شهداء قدامى.. المشكلة عندك أنت ."

كان ولابد أن استعرض الأحداث الدنيوية وأثبت للمجلس المنعقد أنني شهيدًا رغم أنني لا أملك وثيقة من الأحياء بذلك، وأن النزيل ٢٠١٢ لم يكن شهيدًا رغم أنه يملك وثيقة بذلك.. إنه معذب الأبرياء بل قاتل الأبرياء..

انتفض عم عواد واقف وهو يعدل من هندامه قائلًا بحزم :

"رفعت الجلسة يا حضرات.. بكره نكمل.. "

قلت له قبل أن يتحرك :

"إلى أين يا عم عواد إننا لم نستكمل حديثنا.. ترى ماذا سأفعل مع النزيل ٢٠١٢؟"

رد وهو يضبط طاقية الرأس بحزم :

"لو أنت شهيد بجد ما تخافش من حد.. لكن لو أنت مش شهيد .اللي يمس روحك من الميتين قل له أنا في حماية عم عواد قاهر الغزاة.. "

راح يقهقه وهو يشق الطريق.. نظرت للنزيلين ١٩١٩,١٩٥٦ وهما يتهامسان فقلت لهما ببراءة النفس : أقسم بالله العظيم أنني من شهداء المحروسة..

رد النزيل ١٩٥٦ :

"يا عزيزي نحن لسنا معك ولسنا ضدك، ولا يهمنا إن كنت شهيدًا أم لا فنحن جميعًا سواسية داخل الممر الدنيوي، والبرزخي إلى يوم النشور. "

نظر للنزيل ١٩١٩ واستطرد قائلًا :

"ان ما يشغلنا هو السلام بيننا داخل المقبرة.. بل الأمن والأمان لنا.. فلا نريد أن نحمل عم عواد فوق طاقته؛ يكفيه الغزاة."

ابتسم النزيل ١٩١٩ وبنبرة سرور للنزيل ١٩٥٦ :

"يقينًا عم عواد متعب جدًا هذه الليلة وسوف ينام نومًا عميقًا كما لو كان قتيلًا."

رد ١٩٥٦ :

"لقد كانت ليلة عصيبة وهو يحارب من يريدون النبش في القبور."

أخفيت ابتسامتي جانبًا وأغلقت على معرفتي بما سيفعله عم عواد هذه الليلة، وتذكرت جملته"يا جبل ما يهزك ريح"وتخيلتهما، وتحاورت مع نفسي، نعم لم تكن زوجة عواد في غاية الجمال ولا ممشوقة القوام ولا ناصعة البياض، ولكنها كانت شديدة الاهتمام برونقها من شعرها الوثير، وحتى أخمص قدميها.. لم تبخل على شعرها–زينة المرأة-بأجود الكريمات.. رحيق عطرها يفوح منها ويتراقص حولها ويتسلل لأنف عواد فيفرحه وينجذب إليها مسحور.. حور من الجنة في نظره، وعلى جسدها الأملس يُخيل إليه تعاقب قمصان النوم بألوان تخطف الروح.

*****

٤- طبائع الاستبداد

كان النزيلين ١٩١٩، ١٩٥٦ على علم بما يحدث في بر مصر المحروسة من أحداث قلبت كل الموازين، وأربكت كل العقول، رغم انهما من نزلاء المقابر وقد انقطعت صلتهما بالحياة..

مجلس عم عواد هو همزة الوصل بين الأموات والأحياء، ومن عادة عم عواد ألا يعقد مجلسًا للنزلاء معًا بل لكل مقبرة مجلسها.. فهناك نزلاء يريدون الإطلاع على أحوال الأحياء وهناك نزلاء يشجبون ذلك وينغمسون في أحوالهم وينتظرون يوم البعث..

وكأن عم عواد سجل أحوال البشر يطلع عليه من يريد.. فكل ما يفعله هو نقل أحداث الواقع للنزلاء كما يراها دون زيف مستعرضًا الرأي والرأي الآخر محتفظًا برأيه حينما يتحاور مع الأحياء.. أما الحوار مع نزلاء المقابر وتبادل الآراء فيما بينهم عن أحوال البشر حوارًا له مذاق خاص تفريغًا للآهات المعتقلة رغم أنه لن يغير من الواقع شيئًا..

"حتى الآن وعقلي لم يصدق".. هكذا قال ليّ النزيل ١٩١٩ وأردف ساخرًا : كيف تجرأ الشعب وخرج وكسر حواجز الخوف وحطم أسوار العزلة.. كيف استطاع أن يفجر ثورة ٢٥ يناير؟

استكمل النزيل ١٩٥٦ الكلام باندهاش : بل وفجر ثورة ٣٠ يونيو.. ماذا حدث للشعب؟

قلت :

"حدث الكثير.. لم تكن أحداث ٢٥ يناير ثورة بل كانت حركة شبابية انضم إليها جموع الشعب من اجل العيش والحرية والعدالة الاجتماعية، فتحولت لثورة، ولكن سرعان ما انقض عليها المتأسلمين هم وعشيرتهم وأعوانهم من أجل الإطاحة بنظام والانتقام منه.. أما أحداث ٣٠ يونيو فهي ثورة بمعنى الكلمة لأن الشعب ثار ضد من سرق منهم الهوية إلى الهاوية.. فاستردوا الهوية بمعاونة الجيش والشرطة وواجهوا المتآمرون والخونة بكل صرامة.. ألم يخبركما عم عواد بتلك الأحداث ؟"

رد ١٩١٩ :

"أخبرنا ويشكر الرجل أنه يتحدث إلينا بكل شفافية.. هذا بجانب أننا نرى من خلال عالمنا بأرواحنا بعضًا من حياة الأحياء عندما يسمح لنا بذلك من رب العرش العظيم."

قال ليّ ١٩٥٦ هامسًا :

"ولكننا نريدك أن تنقل لنا الحدث باستفاضة بما أنك كنت شاهد عيان ."

قلت على الفور بفخر :

"بل وشهيدًا يا عزيزي.. "

انتفض النزيل ٢٠١٢ من مكانه قائلًا وهو يشهر إصبعه نحو ١٩١٩ وينظر إليّ :

"النزيل ١٩١٩ شهيدًا لأنه استشهد برصاص الإنجليز وهو يطالب مع الثوريين بتحرير البلاد من الاحتلال الإنجليزي، أما النزيل ١٩٥٦ فقد استشهد في أحداث العدوان الثلاثي على مصر عقب قرار تأميم قناة السويس؛ فهو يقينًا من الشهداء لأنه كان يدافع عن وطنه في مدينة السويس"

قاطعه النزيل ١٩٥٦ بنبرة روحانية المعهودة قائلًا :

"العلم عند الله أيها النزيل.. فقد كنت أجاهد في سبيل الله خوفًا على الوطن، وخوفًا من هلاك أسرتي الصغيرة "

ابتسم ١٩١٩ ابتسامه عابره قائلًا :

"قالت أمي يوم العزاء وهي تزف النعش بالبكاء دون نواح.. احتسبه شهيدًا عندك يارب.. يا له من يوم، ثورتنا كانت ثورة شعبية رجال ونساء، بل وأطفال..

قاطعه النزيل ٢٠١٢ مستكملا قوله :

"لا مجال لقص الروايات، قلنا أنك أحد الشهداء وانتهينا.. نحن بصدد مشكلة ولابد من حلها"

رد قائلًا ببشاشة :

"منذ أن هبطت إلينا هنا وأنا لم أقص عليك أي رواية يا عزيزي ٢٠١٢..

قاطعة مرة أخرى وهو مشيرًا بإصبعه الطويلة إليّ مستطردا رصاص كلماته :

"هذا النزيل.. المدعو ٢٠١٣ لن اسمح له بالبقاء هنا داخل المقبرة إلا بعد أن يجيء لنا بوثيقته كشهيد."

تحكمت في انفعالاتي وأنا في حالة من الاستياء وقلت له :

"حتى وأن جئت بالوثيقة. لن تتركني سالمًا لأن طبائع الاستبداد تسبح في كراتك البيضاء والحمراء.. أيها النزيل أنت لست أميرا علينا في المقبرة؛ فكلنا ننتظر البعث؛ وحينها ستتكشف حقائقنا.."

حاول أن يرفع صوته، ولكن النزيل ١٩٥٦ أوقفه قائلًا :

"اخفض من صوتك."

قام النزيل ١٩١٩ واحتواني وأخذني خارج المقبرة عندما رأى في ضيقي بركان.. قلت له غدًا في مجلس عم عواد سأقص عليكم الحدث الذي جمعني أنا والنزيل ٢٠١٢ ..

عدتُ للمقبرة يؤلمني استحضار الحدث المؤسف.

*****

٥- بلاط صاحبة الرئاسة

وكما لو كنا في شهر أمشير صفع أمشير طوبة وبسخريته المشهورة يقول"روح يا طوبة ياللي ما بلتش عرقوبه"فكلما برق البرق ورعد الرعد في السماء تنهمر الأمطار بل الكتل الثلجية تتساقط وتخفي طين الأرض.. مشهد لا يتكرر كثيرًا على مدى عمرنا.. ورغم الطقس السيئ إلا أن عواد خرج من غرفته يرفع ذراعيه للسماء يدعو؛ ومن خلفه زوجته تؤمن على الدعاء..

هرول كالأطفال تحت المطر فارحًا وهو يقهقه بينما أسارير زوجته تعزف أنغام الحبور وهي تلوح له إلى أن اختفى من المشهد فأوصدت الباب العتيق..

انعقد المجلس في ظل المناخ المتقلب.. جلست أمام عم عواد والنزيلين ١٩٥٦، ١٩١٩ وعلى صفحات وجوههم اكتظت علامات استفهامية.. قرأت المضامين سريعًا واعتبرت الأسئلة إجبارية يجب الإجابة عنها إجابة نموذجية يفهمها أهل البرزخ ويستوعبها أهل الحياة.. قلت وأنا استنشق الهواء النقي الذي يشعرني بالسكون والسكينة واستمالة زمن الأحياء :

"أنا مصري حتى النخاع.. انزل ميدان التحرير عندما اشعر بأن الوطن يحتاج ضلوعي بين كيانه.. تظاهرت مرة واحدة عند مسجد مصطفى محمود بجامعة الدول العربية، ولكن الأقدار راحت تسوقني في مطلع ديسمبر عام ٢٠١٢ ميلاديا إلى ميدان روكسي بمصر الجديدة في ظل الأجواء السياسية المشتعلة.. كان ولابد أن أذهب حيث تقطن خطيبتي ذات الشامة بالقرب من سينما غرناطة الموصدة.. كنت على علم بأن هناك وقفة احتجاجية أمام قصر الاتحادية تضم ائتلافات شبابية وتيارات سياسية وأحزاب وحركات.. إلخ اعتراضًا على الإعلان الدستوري الذي أصدره ممثل عشيرة الأخوان في بلاط صاحبة الرئاسة.. مررت مرورًا عابرًا في ظل تلك الأحداث المؤسفة.. نعم مؤسفة.. حالات الكر والفر وصوت الرصاص يخترق سمعي، ودخان القنابل المسيلة للدموع عبأ المكان.. اختفى محل الحلوى من أمام عينّي فقد كنت أود شراء طبق حلوى لخطيبتي وأنا ذاهب لزيارتها.. هرج ومرج عم المكان وعلى مرمى البصر، وفي عمق كادر الشارع رأيت أناس ليسوا بأناس.. يحملون النبابيت والأسلحة البيضاء وهم غاضبون.. قادمون

كأنهم التتاريون جاءوا ليغزون ويمحون كل ما هو أمامهم في سبيل حماية كيان العشيرة.. لا اخفي عليكم سرًا لقد ذقت الخوف مليا، ولكنني تخلصت منه "

كنت أتحدث وأصمت وأواصل وعم عواد يبدو حزينا ومتأثرا بما أقوله بينما النزيلين ١٩١٩، ١٩٥٦ ينصتان وكأنهما في انتظار إجابة بعينها عن تساؤلات في طي النفس.. لم أتوقف وأنا أجوب وجوههم وأقرأها ..

" فقد رفض التتاريون المظاهرات السلمية والوقفات الاحتجاجية أمام قصر الاتحادية وقاموا باستدراج بعض المتظاهرين إلى اشتباكات يدوية ولفظية فتحول المشهد لعركة يهدف فيها المتظاهرين إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الديمقراطية بينما التتاريون المتأسلمون يصرون على ذبح الديمقراطية داخل كل مواطن يقول رأيًا مخالفًا لرأي الدماغ المحرك لممثل العشيرة"

سكت قليلًا، وأنا أرصد مدى إنصات النزلاء ليّ..

*****

نهاية الجزء الأول المجتزأ من فصول الرواية.....المنشورة في ٧ أجزاء

إذا راقتك الرواية أكمل تحميل الأجزاء أو شراء نسخة كاملة من على المنصات،ويسرنا تلقي رأيك ونقدك عن العمل الأدبي للتواصل إيميل: Cenarst.1969@gmail.com

نبذة عن الكاتب والسيناريست..

خالد السيد علي

أديب وسيناريست وشاعر حر ١٩٦٩/١/٢٣ حاصل على بكالوريوس التجارة جامعة عين شمس ١٩٩٢م/معتمد كمؤلف دراما بالتليفزيون المصري /عضو عامل نقابة المهن السينمائية شعبة السيناريو(رقم ٥٢١٥)عضو عامل اتحاد كتاب مصر شعبة القصة والرواية(رقم ٢١٣٤).

من أعماله الأدبية:

- مجموعة قصصية بعنوان " على مسرح القلب " الناشر جمعية رعاية المواهب ١٩٩٥م
- مجموعة قصصية بعنوان " كبرياء في سماء الحب " الناشر دار النيل ٢٠٠٧م

- أعمال أدبية ما بين القصة والمسرحية والرواية والسيناريوهات والمقالات والآراء الفكرية-للكبار والصغار-على مواقع شبكة الانترنت..تتجاوز مئة عمل.
- كتاب مسرحي إلكتروني"مائدة الحساب"دار نشر رقمنة-ستوكهولم-السويد٢٠٢٠م
- كتاب سيناريو فيلم إلكتروني"الجوازة دي فيها إن"دار نشر رقمنة-ستوكهولم- السويد٢٠٢٠م
- كتاب سيناريو فيلم إلكتروني"الدنيا في غرفة الإنعاش" دار نشر رقمنة-ستوكهولم-السويد٢٠٢١م
- رواية" حُلم الأرض" تحت الطبع

أشهر أعماله الدرامية:

- مسلسل طائر السعادة (أطفال قصة) صوت القاهرة ١٩٩٦م إخراج/حامدعبد العزيز
- مسلسل طــوق النجاة (أطفال قصة وسيناريو وحوار) صوت القاهـــرة ١٩٩٩م إخراج/ سعيد عبد الله
- مسلسل منزل العائلة (أطفال قصة وسيناريو وحوار) صوت القاهرة ٢٠٠١م إخراج/ طارق عيسى
- مسلسل الإنسان والآلة (أطفال قصة وسيناريو وحوار) صوت القاهرة ٢٠٠٥م إخراج/ محمد رجائي

- تأليف السهرة الكوميدية الإذاعية بكره احلي إخراج/ إسلام محفوظ الشباب والرياضة.

- تأليف السهرة الإذاعية "نرجو الانتباه " كوميديا سوداء إنتاج المحليات إخراج/ جمال بركة.

أشهر أعماله الإذاعية والتليفزيونية والصحافية:

- البرنامج الدرامي " من الحياة" البرنامج العام كإعداد وسيناريو وحوار إخراج /اسماعيل عبد الفتاح.

- المسلسل الثقافي الإذاعي " رسائل الأرض والتاريخ" ٣٠ حلقة كوميدية باللغة العربية الفصحى انتاج شركة النور للصوتيات إخراج المخرج الكبير/ محمد مشعل.

- حلقات درامية برنامج "بين الناس" التليفزيون المصري..إعداد وتقديم/جمال الشاعر.

- حلقات (فن/استعراض/سياحة/فكر) برنامج اقبل الليل التليفزيون المصري إخراج/نبيل جعفر.

جوائز.. ميدالية تذكارية لأفضل أقصوصة بعنوان " حواء ذات القناع المزيف " من المهرجان الأول لجامعة عين شمس . المسابقة أدبية ١٩٩٢م في عهد عبد الأحد جمال الدين وزير الشباب والرياضة.

- أفضل قصة قصيرة (الشمس لا تشرق مسرعة) من جمعية رعاية المواهب عام ١٩٩٥م بالإضافة لشهادات تقدير للمشاركات الأدبية، أكثر من سبعون شهادة تقدير عن أعمال فكرية ومجتمعية.

- سفير لمتحف الكلمة من مؤسسة سيزار إيجيدو سيرانو بأسبانيا.عام ٢٠٢٠م
- نائب رئيس تحرير جريدة شباب الوطن – في القاهرة حتى يوليو ٢٠١٣م
- كاتب حر لمقالات أدبية وثقافية لعدة مواقع إلكترونية ،مدونات،فيس بوك،تويتر..
- محاضر في ورشة تنمية الإبداع لهواة كتابة المصنف الفني بجمعية مرسى الإبداع المصري. المعادي.
- كاتب بجريدة صوت العندليب مقالات سياسية وفنية ٢٠٠٦م
- محاضر في عدة جمعيات ومراكز تنموية لاكتشاف الموهبة ٢٠٠١-٢٠٠٤م
- كاتب مجلة المسلم الصغير مقالات تعليمية للأطفال ١٩٩٦-١٩٩٨م
- كاتب حر بجريدة الأنباء الدولية أعمال أدبية قصص أدبية ١٩٩٦-١٩٩٧م
- محرر صحفي بمجلة النهار للصداقة حلقات ساخرة ترصد الواقع المرير ١٩٩٥ – ١٩٩٧م
- محرر بجريدة المستقبل المصرية-أعمال أدبية وثقافية وتحقيقات متنوعة١٩٩٢-١٩٩٣م
- الايميل: **cenarst.1969@gmail.com**---------**تمت**